فصل في منشإِ اعتقادهم في الشيطان

ليس في عقيدة الشيخ عدي ما يخالف الأصول المعروفة في عقائد أهل السنة والجماعة، وقد تصفحناها فلم نَشْتَمَّ منها رائحةَ رأي في الشيطان يُخَرَّج اعتقاد اليزيدية عليه، بل رأيناه فيها بالعكس، يكثر من لعنه وينحي على من يزعم أنَّ الخير من الله تعالى والشرَّ من إبليس، وعلى من تغالَوْا فقالوا: إرادة إبليس فوق إرادته تعالى، فترى من هذا أن مذهبهم في الشيطان غير مبنيٍّ على قولٍ لشيخهم كما بُني مذهبهم في يزيد، بل هم فوق ذلك مخالفون ومضادُّون لرأيه فيه، ولم يشر الإمام ابن تيمية في الرسالة العدوية إلى شيء من ذلك، فالظاهر أنهم جنحوا إلى هذا الرأي بعد زمنه، ولعلَّه نشأ من أحدِ من تولَّى زعامتهم من المشايخ، وإليك ما ظهر لنا بعد ذلك:

قد تقدم أن اليزيدية لم يكونوا إلا طائفة من الصوفية، ثم صاروا من غلاتهم وما زالوا يتمادون في الغيِّ حتى باينوا جميع الفِرق الإسلامية وخرجوا من الإسلام جملة، ولا يخفى أن لِغلاة الصوفية من الآراء الشاذَّة والكلمات الموهمة ما لا يحتمل ظاهره، ينطقون بها في أحوال تعرض لهم يسمونها بالغلوِّ أو الشطح أو غير ذلك، ويحملها بعضهم على خلاف ظاهرها بضروب من التأويل ليس من موضوعنا الخوض فيها، وقد أشار أبو حفص عمرو بن محمد السُّهْرَوردي في عوارف المعارف عند كلامه على الخلوة إلى ما يقع لبعض الصوفية من الزيغ، وذكر أن ما يفتح به على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سببًا لمزيد بُعده وغروره وحماقته، وأنه لا يزال حتى يخلع ربقة الإسلام عن عنقه، وينكر الحدود والأحكام إلى آخر ما قال.

ومن تلك الآراء ما ذهب إليه بعضهم من التعصُّب لإبليس وتبرير عمله في عدم السجود لآدم عليه السلام، بل نُسب هذا القول لبعض كبارهم، ومنه ما رواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة حيث قال: وكان أبو الفتح أحمد بن محمد الغزالي الواعظ أخو أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الفقيه الشافعي قاصًّا لطيفًا وواعظًا مفوَّهًا، وهو من خراسان من مدينة طوس، قدم بغداد ووعظ بها، وسلك في وعظه مسلكًا منكرًا؛ لأنه كان يتعصَّب لإبليس ويقول: إنه سيِّد الموحدين، وقال يومًا على المنبر: من لم يتعلم التوحيد من إبليس فهو زنديق، أمر أن يسجد لغير سيده فأبى.

ولست بضارعٍ إلا إليكم وأمَّا غيركم حاشا وكلَّا

وقال مرةً أخرى: لمَّا قال له موسى أرني فقال لن، فقال: هذا شغلك تصطفي آدم ثم تسوِّد وجهه وتخرجه من الجنة، وتدعوني إلى الطور ثم تشمت بي الأعداء، هذا عملك بالأحباب فكيف تصنع بالأعداء؟ وقال مرة أخرى وقد ذكر إبليس على المنبر: لم يدر ذلك المسكين أن أظافر القضاء إذا حكَّت أدمت، وأنَّ قسيَّ القدر إذا رمت أصمت، ثم قال لسان آدم ينشد في قصته وقصَّة إبليس:

وكنت ولَيْلَى في صعود من الهوى فلـمَّـا تـوافـيـنـا ثـبـتُّ وزلَّـتِ

وقال مرة أخرى: التقى موسى وإبليس عند عقبة الطور، فقال موسى: يا إبليس، لِمَ لمْ تسجد لآدم عليه السلام؟ فقال: كلا ما كنت أسجد لبشر، كيف أوحِّده ثم ألتفتُ إلى غيره؟ ولكنك أنت يا موسى سألت رؤيته ثم نظرت إلى الجبل، فأنا أصدق منك في التوحيد. وكان هذا النمط في كلامه ينفق على أهل بغداد وصار له بينهم صيتٌ مشهور واسم كبير. إلى أن قال: «وهذا نوع تعرفه الصوفيَّة بالغلوِّ والشطح، ويروى عن أبي يزيد البسطاميِّ منه كثير.» انتهى.[1]

[1] نقل سبط ابن الجوزي عن أبي الفتح أحمد الغزالي أمثال هذه الأقوال في مرآة الزمان، عند ذكر وفاته سنة ٥٢٠، ثم حكى عن جدِّه الإمام ابن الجوزي تعجبه من هذا الهذيان، وكيف نفق في بغداد وهي دار العلم.

أما تسميتهم له بطاووس ملك، وقولهم في «مصحف رش»، أي الكتاب الأسود: أول يوم خَلق الله فيه هو يوم الأحد، وخَلق فيه ملكًا اسمه عزازئيل، وهو طاووس ملك رئيس الجميع، فله أصلٌ أيضًا وهو ما يروى في قصص الأنبياء وبعض التفاسير من أن إبليس كان يسمَّى في السماء السابعة بعزازئيل، وأنه كان مجتهدًا في العبادة حتى لم يترك من السماوات والأرضين موضع شبر إلا سجد فيه فسمِّي لذلك طاووس الملائكة، وأنه كان سيِّد الكَرُوبيين والروحانيين ورئيس خزنة الجنة.